الأصول والكليات التي تضبط علاقة المسلم بالله تعالى: دراسة حديثية موضوعية

د. عبده كداف أحمد الكد*

سلم البحث في ١٤٤٥/١٠/١٦هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٥/١١/١٨هـ

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الأصول والكليات الكبرى التي تضبط علاقة المسلم بالله تعالى، من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية. عرض البحث أربع نقاط أساسية، وهي: الأعمال القلبية، والأوامر والمستحبات، والمنهيات والتروك، واستدراك الطاعات، والتوبة من الزلات. ومن أبرز النتائج بيان أنّ العلاقة بين العبد وبين الله تعالى مبنية على أصول وكليات كبرى، وأهمية التوازن والاعتدال في تربية النفس بين الحرص على الأصول والكليات وبين ما يندرج تحتها من عبادات، وأنْ يحرص أهل العلم والدعوة والمربون على تعليم الناس الأصول والكليات الكبرى التي تضبط علاقتهم بالله تعالى.

الكلمات الافتتاحية: الأصول، الكليات، الضوابط، العلاقة بين المسلم وربه.

Abstract:

principles and universals that control and manage the relationship of the Muslim with Allah: An objective hadeethih study

The research intends to shed light on major principles and universals that control and manage the relationship of the Muslim with Allah through the texts of the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet peace be upon him. The research presents four main points: deeds of heart, commands and desirables, forbidden and abandoned, performance good deeds after the time has passed and repentance from the sins. The research found that the relationship of the Muslim with Allah is built on the major principles and universals, the significance of balance and moderation in self-education between concern for assets and faculties and the worship that falls under them. Finally, not only people of knowledge and da'wah but also educators as well should teach people the principles and major universals that govern their relationship with Allah.

Keywords: principles, universals, instructions, the relation between Muslim with Allah.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد: فلقد جاءت السُّنة النبوية الشريفة المطهرة، لتبين للناس دينهم،

* أستاذ الحديث المشارك بقسم المواد العامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز.

وتربطهم بربهم جل وعلا، في علاقة ربانية سامية، وكانت هذه المَهمة ضمن ما أوضحه الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النَّحْل: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النَّحْل: ٦٤].

المؤمنون في هذه الحياة يعيشون بالله، ومع الله، ثم هم إلى الله راجعون.

ولقد ظللتُ فترةً من الزمن أتأمل: كيف يمكن للعبد أنْ يعيش مع الله؟

وكيف يحافظ على هذه العلاقة التي هي سبب السعادة والفلاح في الدارين؟

وما هي الأصول والكليات التي تضبط علاقة العبد بالله تعالى؟

إنّ علم الحديث الشريف ليس علمًا جافًّا بعيدًا عن حياة الناس، بلْ هو يعيش معهم، ويدلهم على ما في الخير لهم في الدنيا والآخرة.

ولقد تفنن أئمة الحديث في التصنيف في موضوعات محددة، كلٌّ حسب هدفه، وأهمية الموضوع الذي ركَّز عليه.

ومن هذا المنطلق؛ وبعد توفيق الله تعالى وقبل كل شيء؛ جاءت فكرة هذا البحث، والذي ينطلق من نصوص الوحي المطهر، وأدلته الصحيحة الصريحة.

موضوع البحث:

جاء هذا البحث ليُبرز أهم الأسس والأصول التي ينبغي أن يتنبه إليها المسلم في علاقته بالله تعالى، وأسْميته: (الأصول والكليات التي تضبط علاقة المسلم بالله تعالى: دراسة حديثية موضوعية)

مشكلة البحث وأسئلته:

يأتي البحث ليجيب عن الأسئلة الآتية:

١. ما هي الأسس والأصول والكليات التي تضبط علاقة المسلم بالله تعالى؟

٢. ما أهمية علاقة القلوب في رسْم علاقة العبد بالله؟

٣. ما هي القضايا الأساسية التي يجب على المسلم أن يُحافظ عليها؛ حتى يقتربَ من الله تعالى؟

٤. ما هي الأمور التي يجب على الإنسان أن يحذر منها؛ حتى لا تتخدش علاقته بالله تعالى؟

الدراسات السابقة:

لمْ أقفْ حسب علمي واطلاعي -المتواضع- على من جمع وكتب في هذا الموضوع بهذه الطريقة، وبهذا المحتوى، والله أعلم.

حدود البحث:

الأصول والكليات الكبرى التي تضبط علاقة المسلم بالله تعالى، والتي تتدرج تحتها أبواب كثيرة من الأوامر والنواهي الشرعية، والتي لها دور كبير في صلاح العبد، ونيله تقوى الله تعالى، والتي لوْ ركّز عليها المسلم لحصلت له الطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة.

سبب اختيار الموضوع:

١. حاجة المسلم إلى بيان القضايا والأسس الكبرى التي تضبط علاقته بالله تعالى، والتي تتدرج تحتها كثيرٌ من الأوامر والنواهي الربانية.

٢. كثرة التفريعات في بعض القضايا والتي وإن كانت مهمة؛ إلا أنه لا يصح أن تنسينا بقية القضايا الكبرى.

أهداف البحث وأهميته:

١. إبراز أهم الأسس والقضايا التي تربط علاقة العبد بالله تعالى، والتي تتدرج تحتها أحاديث نبوية كثيرة.

٢. جمع ما تفرق في كتب السنة من أسس ومنطلقات تجمع بابًا من أهمِّ أبواب العلم؛ وهو صلة العبد بالله تعالى.

منهج البحث

لقد سار الباحث -عفا الله عنه- على منهج الاستقراء لنصوص السُّنة النبوية، والتأمل في معانيها، ثم جمع النظير إلى نظيره، في طريقة تكاملية، ليخرج بعد ذلك بمنهجٍ علميٍّ، مبنيٍّ على تصور صحيح.

إجراءات البحث

١. كتابة الآيات الكريمة بالرسم العثماني، وتوثيقها.

٢. أذكر كلام أهل التفسير في بعض المواضع التي يقتضيها البحث.

٣. تخريج الأحاديث، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما؛ فأكتفي بالعزو إليها، وما كان منها خارج الصحيحين فإني أعزو الحديث إلى مصادره من الكتب الستة، وربما أزيد غيرَها حسب ما يقتضيه الأمر، وبما يؤدي إلى معرفة الحكم على الحديث، ولا أتوسع.

٤. أذكر كلام أهل العلم في بعض الأحاديث، حسب ما يقتضيه البحث.

٥. أعزو النصوص إلى قائليها.

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها: موضوع البحث، ومشكلته وأسئلته، والدراسات السابقة، وحدوده،

وسبب اختيار موضوعه، وأهدافه، وأهميته، ومنهجه، ثم إجراءاته، وخطته.
المبحث الأول: الأعمال القلبية.
المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى.
المطلب الثاني: التسليم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
المطلب الثالث: الاعتناء بالقلب وأعماله.
المبحث الثاني: الأوامر والمستحبات.
المطلب الأول: المحافظة على الفرائض والواجبات.
المطلب الثاني: الحرص على النوافل.
المطلب الثالث: الحرص على الأعمال التي تمحو الذنوب وترفع الدرجات.
المطلب الرابع: الإحسان إلى الخلق.
المبحث الثالث: المنهيات والتروك.
المطلب الأول: المطلب الأول: الابتعاد عن الكبائر والاحتراز من الصغائر.
المطلب الثاني: الابتعاد عن مبطلات ومحبطات الأعمال.
المطلب الثالث: الابتعاد عن أسباب سخط الله وغضبه.
المبحث الرابع: استدراك الطاعات، والتوبة من الزلات.
المطلب الأول: استدراك الطاعات.
المطلب الثاني: التوبة من الزلات.
وأسأل الله تعالى الإخلاص والسداد، والتوفيق والرشاد.

المبحث الأول
الأعمال القلبية
المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى

علاقة المسلم بالله تعالى علاقة مبنية على الإيمان بالله تعالى، وكلما حقَّق العبدُ منه درجات؛ كلما ارتفعت مكانته عند الله تعالى.

ولأهمية هذه القضية؛ تولّى الله تعالى تعليم التوحيد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: ﴿اعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وقال جلّ شأنه للمؤمنين: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود:١٤]. بلْ جعل الله تعالى قضية إثبات وجوده أمرا فطريا، مغروزًا في البشرية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢].

كما أنزل جبريلَ عليه الصلاة والسلام ليكون أوَّل ما يعلمه الناسَ من أمور دينهم، ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: "الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ". قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: "الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا.. الحديث"[١].

ولقد بذل النبي صلى الله عليه وسلم جهودا كبيرة في تبليغ الناس التوحيد وتعليمهم إياه، فمنذ نزل عليه أمر الله تعالى بتبليغ الدين في قوله جل وعلا: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]. واستمر النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه الناس؛ ليس كما يقال ثلاثة عشر عامًا؛ بلْ إلى قبيل وفاته، فقد كان يُحذر أصحابه وهو في سكرات الموت مما يخدش التوحيد، من أنواع البدع والشركيات، ففي "الصحيحين"[٢] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: "لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا"، قَالَتْ: وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

وهنيئا لمن قالها بلسانه، وعمل بمقتضاها، وحقّق معناها بقلبه وجوارحه، ففي " صحيح مسلم" عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ"[٣].

والإيمان بالله تعالى يستلزم الإيمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته، قال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨].

إن شهادة "لا إله إلا الله" لا تنفع صاحبها بدون شهادة "محمد رسول الله"، ففي "صحيح مسلم" عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ وفد عبد القيس قدموا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فسألهم: وَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟" قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ..."الحديث[٤].

وتعليم الناس التوحيد، وحقيقة الشهادتين من أهمِّ المهمات، وأولى الأولويات، ففي "الصحيحين"[٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ..." الحديث.

إنَّ الإيمان بالله تعالى؛ وعبادته، هو حقُّ الله تعالى على العباد، ففي "الصحيحين"[٦] عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ" قُلْتُ: لاَ، قَالَ: "حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ

يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا به شَيْئًا".

قال الإمام النووي: ((فَحَقُّ اللَّه تَعَالَى عَلَى الْعِبَاد مَعْنَاهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِمْ مُتَحَتِّمًا عَلَيْهِمْ))[٧]، وقال الحافظ ابن حجر: ((الْمُرَادُ بِالْعِبَادَة عَمَلُ الطَّاعَات وَاجْتِنَابُ الْمَعَاصِي وَعَطَفَ عَلَيْهَا عَدَمَ الشِّرْك لِأَنَّهُ تَمَامُ التَّوْحِيد وَالْحِكْمَةُ فِي عَطْفه عَلَى الْعِبَادَة أَنَّ بَعْضَ الْكَفَرَة كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى فَاشْتَرَطَ نَفْيَ ذَلِكَ))[٨].

بلْ لا عمل عند الله تعالى أفضل من الإيمان به جلّ وعلا، ففي "الصحيحين"[٩] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَال أَفْضَلُ؟ قَالَ: " إِيمَانٌ بِاللَّه وَرَسُوله".

وبهذا ندرك أنَّ الإيمان بالله تعالى يُعدُّ أهمّ الأسس والقضايا التي تربط العبد بالله، وأنّه بدونها؛ لا يسْوى عند الله شيئا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّه وَرَسُوله فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح:١٣].

والقرآن الكريم هو الكتاب الذي يدلُّ على الله تعالى، ومن قرأه وتأمله دلّه على الله تعالى، بلْ حتى بعض الكافرين ممن سمع القرآن وتدبره؛ قاده إلى الإيمان بالله تعالى. ومنهم -على سبيل المثال- جبير بن مطعم رضي الله عنه، ففي "صحيح البخاري" عنه أنه قال: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي المَغْرب بالطُّور، فَلَمَّا بَلَغَ هَذه الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَات وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ﴾ " قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ"[١٠]، ثم قاده ذلك إلى الإيمان بالله تعالى.

وعلى المسلم أنْ يُكثر من تلاوة القرآن الكريم بتدبر؛ لأنه كلام الله تعالى، وهو حبله المتين.

المطلب الثاني: التسليم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم

بقدر معرفة العبد لله تعالى وبأسمائه وصفاته؛ بقدْر ما يتوجّه إليه سبحانه، ويذلّ له ويخضع، ويُعظِّم أوامره جلّ وعلا، فيطيعه ويستسلم له، وهذه حقيقة الإسلام[١١]. فالإسلام هو: الاستسلام لله بالأعمال الظاهرة، والإيمان هو التصديق بالأمور الباطنة، وهذا كله عند الاقتران[١٢].

وحقيقة الاستسلام لله: أنْ يمتثلَ العبد لأوامر الله تعالى ونواهيه، وينقاد لها، بطيب نفْس، سواءً ظهرت له حكمة الشرع أوْ لمْ تظهرْ. والتسليم لأوامر الشرع الحكيم؛ صفة من صفات المؤمنين، وسمةٌ من سمات المفلحين، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا

كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

وليبس من صفاتهم أنْ يُدلوا بآرائهم مع أحكام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك معصية وضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الحزاب:٣٦].

يقول ابن القيم –رحمه الله–: ((إنّ من علامات تعظيم الأمر والنهي ألا يحمل الأمرَ على علة تُضعف الانقياد والتسليم لأمر الله –عز وجل–، بل يُسَلِّمُ لأمر الله –تعالى– وحُكمه، ممتثلا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك على مزيد الانقياد بالبذل والتسليم لأمر الله))[١٣].

ولا فرق بين التسليم لله تعالى والانقياد له؛ وبين التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم، فإنَّ القرآن وحيٌ، والسنة وحيٌ، والقرآن يُجمل، والسُّنة تفسر، ولهذا أمر الله تعالى بالأخذ بكلام المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

بلْ جاءت آيات عديدة في الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، منها قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠].

وأقسم الله تعالى بنفسه بأنه لا يؤمن أحدٌ الإيمان المطلوب والمقبول منه؛ حتى يُحكِّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أموره، ويُطيعَه ظاهرًا وباطنًا، ويُسلِّم للشرع الحكيم، ويرضى به بقلب سليم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وهذه الآية الكريمة؛ تبين قوة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين المؤمنين وبين الوحي المطهّر، فلا كلام ولا رأي ولا اقتراح ولا اعتراض أمام كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، بل طاعة مطلقة، وتسليمٌ كامل.

وقد بيّن الله تعالى في سورة واحدة جزاء من يطيع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ وهو الفلاح والفوز والحصول على الهداية والرحمة، فقال سبحانه:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمنينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّه وَرَسُوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ* وَمَنْ يُطع اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْه فَأُولَئكَ هُمُ الْفَائزُونَ﴾ [النور:٥١-٥٢]، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]، وفي نفس السورة يقول جلّ وعلا: ﴿وَأَطيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦].

قال الرازي في الآية السابقة: ﴿وَمَنْ يُطع اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ...﴾ [النور:٥٢]: ((وَهَذِهِ الْآيَةُ عَلَى إِيجَازِهَا حَاوِيَةٌ لِكُلِّ مَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَفْعَلُوهُ))[١٤].

ولقد بيّن النبى صلى الله عليه وسلم أهمية الاستجابة لأوامره، لأنها تدل على استجابة العبد لله تعالى، ففى "صحيح البخاري"[١٥] عنْ أَبِي سَعِيد بْن المُعَلَّى رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بي رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَدَعَاني، فَلَمْ آته حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجيبُوا للَّه وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟.

كما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم حال قومٍ يأخذون بالقرآن، ويتركون العمل بالسُّنة الصحيحة، ففي "السنن" لأبي داود وغيره[١٦]، عنْ أبي رافع رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ".

ولقد تميّز أصحاب النبيُّ صلى الله عليه وسلم بطاعتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتسليمهم واستجابتهم للوحي المطهر، وتميزت استجابتهم بعدة أمور، وهي:

الأولى: سرعة طاعتهم واستجابتهم للوحي المطهر. فتراهم إذا سمعوا الوحي المطهّر آمرًا بأمر أو ناهيًا عن آخر؛ سرعان ما يمتثلون ويستجيبون ولا يتأخرون، ومن ذلك موقفهم يوم نزل تحريم الخمر. ففي "الصحيحين"[١٧] عَنْ أَنَس رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ سَاقيَ القَوْم في مَنْزل أَبي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئذ الفَضيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مُنَاديًا يُنَادي: "أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ" قَالَ: فَقَالَ لي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ في سكَك المَدينَة. وفي "المسند"[١٨]: (فَمَا قَالُوا: حَتَّى نَنْظُرَ وَنَسْأَلَ)، وعند ابن حبان في "الصحيح"[١٩]: (فَوَاللَّه مَا انْتَظَرُوا أَنْ يَعْلَمُوا أَحَقًّا قَالَ أَمْ بَاطِلًا، فَقَالُوا: اكْفَأْ يَا أَنَسُ، قَالَ: فَكَفَأْتُهُ، فَوَاللَّه مَا رَجَعَتْ إِلَى رُءُوسهمْ حَتَّى لَقُوا اللَّهَ).

هؤلاء الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- لمْ ينتظروا ليتأكدوا من صحة

الخبر، لأنَّه كانت لديهم استجابة سريعة للوحي المطهر. ولمْ تكن تلك الصفةُ خاصةً بأفراد من الصحابة، بلْ كانت صفةً للمجتمع النبوي كله، فقد كان شعاره السمع والطاعة، وسرعة الاستجابة لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ولعلَّ ذلك يتّضح في استجابة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم حين نهاهم عن الحديث مع الثلاثة الذين خُلفوا، ففي "الصحيحين"[٢٠] قال كعب رضي الله عنه: "وَنَهَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ المُسْلمينَ عَنْ كَلاَمنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ منْ بَيْن مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلكَ خَمْسينَ لَيْلَةً".

وهذه الاستجابة والطاعة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لمْ تكن خاصة بالرجال فحسْب، بلْ حتى النساء في عصر النبوة، تميّزن بالاستجابة السريعة والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذه أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف نساء الأنصار حين نزلت آية الحجاب، فقالت: " يَرْحَمُ اللَّهُ نسَاءَ المُهَاجرَات الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا"[٢١].

إنها طاعة واستجابة سريعةٌ وتسليمٌ تامٌّ للوحي المطهر.

الثانية: دقة الاستجابة، لقد كان الصحابة رضوان الله تعالى دقيقينَ في طاعتهم واستجابتهم للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، يأخذون الأمر النبويِّ بحذافيره، ولا يجتهدون فيه.

لقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مثالًا يُحتذَى في هذا الباب، وقد حكَى لأصحابه ذلك الموقف، ففي "صحيح مسلم"[٢٢] أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له: "قُمْ يا حُذَيْفَةُ، فأْتنا بِخَبَرِ القَوْمِ"، قال حُذَيْفَةُ: فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دعاني باسْمي أَنْ أَقُومَ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "اذْهبْ فَأْتني بخبر القوْم، ولَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ"، قال حُذَيْفَةُ: فلمَّا ولَّيْتُ منْ عنْده جعلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشي في حَمَّام حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلي ظَهْرَهُ بالنَّار، فَوَضَعْتُ سَهْمًا في كَبِد الْقَوْس فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْميَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ"، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشي...".

لقدْ كانَ حذيفة رضي الله عنه قادرًا على قتل أبي سفيان انتقامًا لدين الله، ولوْ فعل لخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحال بين أبي سفيان وبين الإسلام! لكنه استجاب استجابة دقيقة،

وهكذا المسلم يسمع ويطيع ويستجيب لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم دون زيادة ولا نقصان، فلا اجتهاد في هذا الباب.

الثالثة: الاستمرار والثبات: يكفي أنْ نعرف أنَّ الله تعالى يحبَّ العمل الذي يداوم عليه صاحبه، حتى لوْ كان عملا يسيرا، لكنه عند الله تعالى عظيم. ففي "الصحيحين"[٢٣] عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ". وفي "الصحيحين"[٢٤] عن ابن أبي ليلى عن عليٍّ رضي الله عنه، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ: "أَلاَ أُخْبِرُكِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْهُ؟ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عِنْدَ مَنَامِكِ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدِينَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ" ثُمَّ قَالَ سُفْيَانُ: إِحْدَاهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ، فَمَا تَرَكْتُهَا بَعْدُ، قِيلَ: وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ. زاد مسلمٌ: ((قَالَ عَلِيٌّ: مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ لَهُ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ)). نعمْ ولا ليلة صفين!! تلك الليلة التي حصل فيها ما حصل.

إنها وصية النبيِّ صلى الله عليه وسلم له ولزوجه، جعلته يستمر على هذا الذكر حتى في أحْلك الليالي. لئن كانت طاعة الوالدين علامةٌ على قوة العلاقة بين الأبناء والآباء؛ فإنَّ طاعة العبد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، واستجابته للوحي المطهر علامةٌ على قوة علاقة العبد بمولاه، وثقته بأحكامه.

المطلب الثالث: الاعتناء بالقلب وأعماله

المتأمل في حال النصوص الشرعية يجدها تولي القلب أهمية بالغة، فقد بيَّن الله تعالى أنّ الانتفاع بالقرآن يكون لمن كان له قلب، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيا﴾ [يس: ٦٩-٧٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنّ فِي ذَلِكَ لَذِكرَى لمنْ كَانَ لَهُ قَلْب﴾ [ق: ٣٧].

لقد اختار الله تعالى نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم واصطفاه، وحفظه ورعاه، واعْتنى بقلبه منذ صغره، وحماه من معاصي قومه قبل البعثة، ففي "صحيح مسلم"[٢٥] فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ".

والمقصود أنَّ جبريل عليه السلام شقَّ عن قلب النبي صلى الله عليه وسلم، واستخرج منه قطعة دم، وهي حظّ الشيطان منه، والتي من خلالها يسعى الشيطان للوسوسة لبني آدم، وغسله بماء زمزم، حتى أصبح قلبه مهيَّئًا لكل ما يقذفه الله تعالى من حقّ في قلبه، ثمّ لأَمَه وجمع بينه، وخاف من كان معه، وظنّوا أنه مات، لكنه استقبلهم وهو متغير اللون[٢٦].

وفي رحلة الإسراء والمعراج؛ بَلَغ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ما لمْ يبْلغ غيرُه ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٧-٩]، ورأى ما لمْ يرَ غيرُه، ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم:١٨]، وسمع ربّ العزة والجلال وهو يقول له: "يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا"[٢٧].

هذه الرحلة الإيمانية سبقتها حادثة عجيبة!، ففي "الصحيحين" عن أنس رضي الله عنه، قال: "فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ، مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ -يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ- ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا" هذا لفظ البخاري، ورواه مسلمٌ بلفظ: "أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ"[٢٨].

والمعنى أنه في هذه المرة؛ شاء الله تعالى أنْ يُغسلَ قلب نبيه صلى الله عليه وسلم بماء زمزم، ثمَّ جيء بطست من ذهب، فيه إناء من ذهب، مَحشُوٌ إيمانًا وحِكمةً، فحَشَا به صَدره، ولغاديدَه، يَعني عُروقَ حَلقه، ثمّ عُرج به[٢٩]. إنها العناية الربانية بقلب النبي صلى الله عليه وسلم، ليتهيأ لما سيراه وسيسمعه في رحلة الإسراء والمعراج.

وفي الحديث إشارة إلى أهمية تزكية القلب وتنقيته من الشوائب حتى يكون مهيَّئًا لأعمال القلوب من إخلاص العمل لله، ومحبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه ونحو ذلك. والقلب هو محلُّ نظر الربّ جل وعلا كما يقول ابن القيم[٣٠]، ولهذا عظّم شأنه وأعلى مكانه، ففي "صحيح مسلم"[٣١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ".

وفي هذا الحديث فوائد، منها: أهمية إصلاح القلب، فهو محل نظر الرب

جل وعلا، وأن الاعتناء به مقدمٌ على الأعمال. ومنها: صرف الهمة للاعتناء بأحوال القلب وتطهيره وتزكيته[٣٢].

قال ابن دقيق العيد: ((معناه أن الأعمال الظاهرة لا تُحصّل التقوى وإنما تقع التقوى بما في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته ونظر الله تعالى – أي رؤيته محيطة بكل شيء. ومعنى الحديث – والله أعلم: مجازاته ومحاسبته وأن الاعتبار في هذا كله بالقلب))[٣٣].

والقلب هو ملك الجوارح، وإن صلُح صلُحت الجوارح، ففي "الصحيحين"[٣٤]، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ".

قال ابن تيمية –رحمه الله–: ((فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ صَالِحًا بِمَا فِيهِ مِنْ الْإِيمَانِ عِلْمًا وَعَمَلًا قَلْبِيًّا لَزِمَ ضَرُورَةُ صَلَاحِ الْجَسَدِ بِالْقَوْلِ الظَّاهِرِ وَالْعَمَلِ بِالْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ))[٣٥].

والقلب هو العضو الذي يتعرض للفتن، فإمّا أن يَسلم منها أو يستسلم لها – نسأل الله السلامة– ففي "صحيح مسلم"[٣٦] عن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ". ورُوي "عَوْدًا عوْدًا" بمعنى أنها تُعاد وتتكرر، ورُوي" عَوْذًا عوْذًا" بمعنى سؤالا الاستعاذة منها، ورجّح القاضي عياض والنووي وغيرهما رواية الضم "عُودًا عُودًا"، ويكون المعنى أنها تُلصق بجانب القلب، كما يلصق الحصير بجنب النائم ويُؤثر بشدة لصقها به[٣٧].

وتأمل قوله: "فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا" يعني دخلت فيه دخولا تامّا. ثم تأمل قوله: "وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا" يعني ردّ هذه الفتن، ولمْ يقبلها. فالعبد يحتاج إلى عون الله وتوفيقه وحفظه لهذا القلب، حتى يسلم من الشهوات والشبهات، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى أن يثبت قلبه، ففي "صحيح مسلم"[٣٨] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ" ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ"

وعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ". قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَقَالَ: " نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا"[٣٩].

فالمقصود؛ أنّه على العبد أن يعتني بقلبه، لأنه محل نظر الله إليه، وهو أساس العلاقة بينه وبين مولاه. وأن يحرص على أعمال القلوب، كالإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، ونحو ذلك.

وأن يجتهدَ في تزكية قلبه، وتنقيته من الشوائب، ويسأل الله تعالى ذلك على الدوام. ولقد كان هذا من هدْي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي "صحيح مسلم"[٤٠] عنْ زيد بن أرقم رضي الله عنه، أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: " اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا"

المبحث الثاني

الأوامر والمستحبات

المطلب الأول: المحافظة على الفرائض والواجبات

الأصل في هذا الباب؛ ما أخرجه البخاري في "صحيحه"[٤١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ...الحديث".

قال عمر بن الخطاب: ((أفضل الأعمال أداء ما فرض الله))[٤٢].

والمقصود بالفرائض والواجبات: ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه[٤٣].

وأداء الواجبات والفرائض؛ فيه دلالة على أنّ ذلك العبد إنما قام بها تعظيمًا لأمر الله، وانقيادًا، ومحبة وخوفًا ورجاءً[٤٤].

يتساءل بعض الناس؛ ما هي أحب الأعمال إلى الله تعالى؟ والبعض منا قد ينشغل بالنوافل عن الفرائض، ولكن الموفق من وفقه الله تعالى، فحافظ على فرائض الله، كما أمر الله، لينال محبة الله.

وأحبُّ الفرائض إلى الله أداء الصلاة في وقتها، ففي "الصحيحين"[٤٥] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا".

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((مَفْرُوضًا))[٤٦].

وهي أول أركان الإسلام العملية بعد الشهادتين، ففي "الصحيحين"[٤٧] عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ...الحديث".

ولعظيم مكانتها عند الله تعالى؛ افترضها في السماء السابعة في رحلة الإسراء والمعراج، وجعلها خمس صلوات ففي "الصحيحين"[٤٨] عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "... فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي".

ومن فرائض الله: أداء الزكاة المفروضة، ولقد جاء ذكرها في حديث ابن عمر السابق: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.."، وجاءت مقرونة بالصلاة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

والصيام فريضة عظيمة؛ قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وجاء ذكره في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في أركان الإسلام.

ولعظيم مكانة الصيام عند الله تعالى أضافه إليه تشريفًا، وضاعف أجره عنده، وذلك لأنه من أحب الأعمال إلى الله، وليس للعبد فيه حظّ، وصاحبه قد أخلص النية له، ولا أحد يعلم قدر مضاعة ثواب الصيام إلا الله تعالى[٤٩]، ففي "الصحيحين"[٥٠] عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ".

والحجّ فريضة عظيمة، يؤديها العبد مخلصا لله، قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فإذا وقف الحجاج بعرفة؛ أعتق الله رقابهم، ودنا منهم دنوًّا يليق بجلاله وكماله[٥١] وباهى بهم ملائكته، ففي "صحيح مسلم"[٥٢] عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟".

بلْ جعل الله ثواب الحاجّ الجنة، ففي "صحيح مسلم"[٥٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ".

وقد تكلم العلماء في المراد بـ: "الحج المبرور"، وجمع بينها الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله- وذكر عدة صفات له، وهي:

١. الإخلاص لله تعالى.
٢. أن يحرص الحاجّ على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.
٣. أن يكون من مال حلال.
٤. أن يجتنب فيه الرفث والفسوق والجدال[٥٤].

ومن الفرائض التي افترضها الله تعالى: برّ الوالدين. وهي فريضة عظيمة، قرنها الله تعالى بالتوحيد، فقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الْإِسْرَاءِ:٢٣]. والبرُّ من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، في "الصحيحين"[٥٥] عن ابن مسعود رضي الله عنه -السابق ذكره- قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ". قال الحافظ ابن حجر:((قَالَ بَعْضُهُمْ هذا الحديث موافقٌ لقوله تعالى:﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، وَكَأَنَّهُ أَخذه من تَفْسِير ابن عُيَيْنَةَ حَيْثُ قَالَ مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فقد شكر لله وَمَنْ دَعَا لِوَالِدَيْهِ عَقِبَهَا فَقَدْ شَكَرَ لَهُمَا))[٥٦].

وصلة الرحم فريضةٌ عظيمةٌ، ولعظمها في الإسلام؛ عظَّم الله مكانتها؛ ففي " صحيح البخاري"[٥٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ"، وفي "صحيح مسلم"[٥٨] عن عائشة رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ...". قال ابن الأثير: ((الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحمن": أَيْ قَرَابَةٌ مُشْتَبِكَة كاشْتِباك العُرُوق، شبَّهه بِذَلِكَ مَجَازًا واتِّسَاعا، وأَصْلُ الشُّجْنَة بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ: شُعْبَة فِي غُصْن مِنْ غُصُون الشَّجَرَةِ))٥٩.

وفي "الصحيحين"[٦٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِه، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذ بِكَ مِنَ القَطِيعَة، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ "قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[محمد:٢٢]".

قال الحافظ ابن حجر: ((وَالْعَائِذُ الْمُسْتَعِيذُ وَهُوَ الْمُعْتَصِمُ بِالشَّيْءِ الْمُسْتَجِيرُ بِهِ))[٦١].

ومن الفرائض: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهما، ولقد وصف الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال سبحانه: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ووصف الأمة بذلك فقال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب، ففي "صحيح مسلم"[٦٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ".

والأمر بالمعروف يكون بالمعروف، والنهي عن المنكر، يكون بدون منكر.

ومما يدخل ضمن الفرائض؛ ترك المحرمات، والابتعاد عنها، ومجانبتها، قال ابن منظور: ((وفَرائضُ الله: حُدودُه الَّتي أَمرَ بِهَا ونهَى عَنْهَا،))[٦٣]. قال الحافظ ابن رجب: ((وَيَشْمَلُ ذَلِكَ فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكَ الْمُحَرَّمَاتِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَى عِبَادِهِ))[٦٤].

المطلب الثاني: الحرص على النوافل

الأصل في هذا الباب؛ ما أخرجه البخاري في "صحيحه"[٦٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ...الحديث ".

والنوافل: ما زاد على الفرائض من العبادات التي لا تجب على العبد[٦٦].

ومنها ما له ما يُشبهها من الفرائض، كالصلاة الواجبة، والزكاة الواجبة، والعمرة الواجبة ونحو ذلك، ومنها ما لا يُشبهها، مثل: قراءة القرآن، وعبادة المكوث في المسجد، ونحو ذلك.

وقد يُطلق عليها التطوّع[٦٧]، كما جاء في "الصحيحين"[٦٨] عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ". فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: "لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ"..." الحديث، وذكر نحو ذلك في الصيام والزكاة.

فالعبد إن أتمّ الفرائض؛ شُرع له أنْ يأتي بالنوافل، فإنّه إنْ فعل ذلك وداوم

عليه؛ نال محبة الله تعالى، قال ابن دقيق العيد: ((فيه إشارة إلى أنه لا تقدم نافلة على فريضة، وإنما سُميت النافلةُ نافلةً إذا قُضيت الفريضة، وإلا فلا يتناولها اسم النافلة، ويدل على ذلك قوله: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" لأنّ التقربَ بالنوافل يكون بتلوٍّ أداءِ الفرائض، ومتى أدام العبد التقرب بالنوافل؛ أفضى ذلك به إلى أن يحبه الله عز وجل))[٦٩].

وفي قوله تعالى: "وَمَا يَزَالُ": إشارة إلى أهمية الاستمرار على النوافل، بلْ ذلك مما يحبه الله تعالى، وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في "الصحيحين"[٧٠] من حديث عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ"، قالت عائشة رضي الله عنها -كما في رواية مسلم-: وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ.

وللنوافل فوائد عديدة منها: أنَّ العبد ينال بها محبة الله تعالى، وأيُّ شيء يساوي ذلك أوْ يوازيه، ففي تكملة الحديث السابق ذكره، قال: "وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ".

وقد تكلم أهل العلم في المراد بقوله تعالى: "كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ..الخ"، ومن ذلك أنه جلّ وعلا يوفق ذلك العبد في الأعمال التي يعملها بهذه الأعضاء، فيُيسر له أن يعمل بها الطاعات، ويعصمه منْ أنْ يقترف بها الزلات، ومنها: سرعة إجابة الدعاء لذلك العبد، وقضاء حوائجه، ومنها: سرعة قضاء حوائج ذلك العبد، ومنها: إنجاؤه من الشدائد والكربات[٧١].

قال الحافظ ابن رجب: ((فَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، رَزَقَهُ مَحَبَّتَهُ وَطَاعَتَهُ وَالِاشْتِغَالَ بِذِكْرِهِ وَخِدْمَتَهُ، فَأَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ الْقُرْبَ مِنْهُ، وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ، وَالْحَظْوَةَ عِنْدَهُ))٧٢.

ومن أحبَّه الله تعالى؛ أحبّه أهل السماء، ووُضع له القبول والتوفيق في الأرض، كما جاء في "الصحيحين"[٧٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ". ومن أحبَّه الله تعالى؛ عاش الحياة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة، قال ابن القيم: ((فَالْمُؤْمِنُ الْمُخْلِصُ لِلَّهِ مِنْ أَطْيَبِ

النَّاسِ عَيْشًا، وَأَنْعَمِهِمْ بَالًا، وَأَشْرَحِهِمْ صَدْرًا، وَأَسَرِّهِمْ قَلْبًا، وَهَذِهِ جَنَّةٌ عَاجِلَةٌ قَبْلَ الْجَنَّةِ الْآجِلَةِ))[٧٤].

فالنوافل بعد الفرائض: هي الطريق الأمثل لنيل محبة الله تعالى للعبد، وللحصول على منزلة الولاية، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٦٢ – ٦٤].

ومن رحمة الله بعباده أن جعل أبوابَ النوافل متنوعة، والموفّق من وفقه الله، كما جاء في "الصحيحين"[٧٥] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: "نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ".

وهذه النوافلَ قد تكون يومية، أوْ أسبوعية، أوْ سنوية.

فمن النوافل اليومية: السنن الرواتب، وفيها حديث عجيب، ففي "صحيح مسلم"٧٦ من طريق دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ –رضي الله عنها–، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ" قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَنْبَسَةُ: "فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ"، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: "مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ" وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: "مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ"، زاد مسلم في رواية أخرى بلفظ: "مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَجْدَةً تَطَوُّعًا، بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ". واستمرار أمِّ حبيبة رضي الله عنها على هذه العبادة إشارةٌ واضحة إلى أنّ الصحابة –رضوان الله عليهم– ومن جاء بعدهم من سلف هذه الأمة؛ كانوا يدركون أهمية الاستمرار على النوافل وعدم الانقطاع عنها.

ومن النوافل الأسبوعية: التبكير لصلاة الجمعة، وهي عبادة عظيمة، يتقرب

بها العبد لله تعالى، كما جاء في "الصحيحين"[٧٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَن اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً". قال الحافظ ابن حجر: ((قَوْلُهُ: "فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً" أَيْ تَصَدَّقَ بِهَا مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّه))[٧٨].

ومن النوافل الشهرية: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ومن السنن السنوية: صيام يوم عرفة، وصيام يوم عاشوراء، كما جاء في "صحيح مسلم"[٧٩] عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ".

ومن النوافل ما هو مقيد بزمن، ومنها ما هو مطلق.

فمما هو مقيَّدٌ بزمن؛ أذكار ما بعد الصلاة، ففي "صحيح مسلم"[٨٠] عنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ –أَوْ فَاعِلُهُنَّ– دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً". وقوله "معقبات" أيْ: تَسْبِيحَاتٌ تُفْعَلُ أَعْقَابَ الصَّلَاةِ، وسُمِّيَتْ مُعَقِّبَاتٍ لِأَنَّهَا تُفْعَلُ مَرَّةً بعد أخرى[٨١].

ومما هو مطلق؛ قراءة القرآن الكريم، وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، فقد جاء في "صحيح مسلم"[٨٢] عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ". وهي كلها بمجموعها؛ تهدف إلى تقوية علاقة العبد وصلته بالله تعالى، كما أنها تدلُّ على محبة العبد لله، وأنها سبيل لمحبة الله تعالى لذلك العبد، نسأل الله من فضله.

المطلب الثالث: الحرص على الأعمال التي تمحو الذنوب وترفع الدرجات

لاشك أنَّ الحسنات تزيل السيئات، وأن العبادات تكفر الخطيئات، كما جاء في "الصحيحين"[٨٣] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا

رَسُولَ اللَّه أَلِي هَذَا؟ قَالَ: "لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ".

ولقد جاءت أحاديث عديدة، تنص على بعض الأعمال لأنها تمحو الذنوب وترفع الدرجات، ومن ذلك: ما جاء في "صحيح مسلم"[٨٤] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ". والمراد بقوله "وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ": الْكِنَايَةُ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْكَثْرَةِ، قاله الحافظ ابن حجر[٨٥].

ومنه: ما جاء في "صحيح مسلم"[٨٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟" قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ".

قال القاضي عياض: ((محوُ الخطايا كنايةٌ عن غفرانها، ويحتمل محوُها من كتاب الحفظة، ويكون دليلاً على غفرانها، ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة))[٨٧].

فقد أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أنّ إسباغ الوضوء في المكاره؛ حين شدة البرد أو الحر، وكثرة التردد إلى المساجد، وجلوس المرء في المسجد ينتظر الصلاة؛ مما يمحو الذنوب، ويرفع الدرجات، وأنّ مَثَلَ صاحبها؛ مثل المرابط في سبيل الله.

قال ابن الأثير: قَوْلُهُ: ((فَذَلِكم الرِّبَاطُ" أَيْ أَنَّ المواظَبَة عَلَى الطَّهارة وَالصَّلَاة وَالْعِبَادَة. كَالْجِهَاد فِي سَبِيلِ اللَّه، فَيَكُونُ الرِّبَاطُ مَصْدرَ رَابَطْتُ: أَيْ لازَمْت. وَقِيلَ الرِّبَاطُ هَاهُنَا اسْم لِمَا يُرْبَطُ بِهِ الشيءُ: أَيْ يُشَدُّ، يعْني أَنَّ هَذِهِ الخِلال تَرْبُطُ صَاحِبَهَا عَنِ المعَاصي وتكُفُّه عَنِ المَحَارم))[٨٨].

والوضوء في البيت، ثم الذهاب إلى المسجد، من العبادات العظيمة، التي تحط الخطايا وترفع الدرجات، ففي "صحيح مسلم"[٨٩] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ

خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً".

قال الحافظ ابن رجب: ((وكلما بعد المكان الذي يمشي منه إلى المسجد كان المشي منه أفضل لكثرة الخطا... والمشي إلى المسجد أفضل من الركوب))[٩٠].

ولأنها عبادة عظيمة؛ تترتب عليها أجور عظيمة، فقد حثَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بني سلمة على ذلك، ففي "صحيح مسلم"[٩١] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ: "إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ"، قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: "يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ".

وفي "صحيح مسلم"[٩٢] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنِ الْمَسْجِدِ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا، فَنَقْتَرِبَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَنَهَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً".

والأعمال الصالحة التي من هذا القبيل؛ كثيرةٌ جدًّا، وليس المقام لحصرها، وإنما المراد أنّ العبد يحتاج إلى ما يمحو ذنوبه، ويرفع درجاته عند الله تعالى، ليُمحوَ الخلل الذي وقع منه تجاه ربه وعلا، حتى لا تتأثر منزلته عند مولاه جلّ في علاه، والموفّق من بحث فيها وقرأ، وعمل بما علم واستمر.

المطلب الرابع: الإحسان إلى الخلق

صفة الإحسان من الصفات التي أمر الله تعالى بها؛ فقال سبحانه: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]. والإحسانُ بذلُ جميعِ المنافعِ من أيِّ نوعٍ كان، لأيِّ مخلوقٍ يكونُ[٩٣]. وأولى الناس بالإحسان؛ الوالدان، ولعظيم مكانتهما قرن الله الإحسان إليهما بعبادته، فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣]، بل هذا حتى في الشرائع السابقة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣].

والإحسان إلى الوالدين كلمة تضم تحتها معانٍ عظيمة، وأعمالًا جليلة.

بلْ لقد ردَّ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي جاءه يبايعه على الهجرة والجهاد، وأمره بالإحسان إلى والديه، ففي "صحيح مسلم" [٩٤] عن عَبْدَ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: "فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟" قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: "فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

"فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا"

بلْ حثتنا الشريعة الإسلامية على الإحسان إلى الوالدين، حتى لوْ لمْ يكونوا مسلميْن! ففي "صحيح مسلم"[٩٥] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: "نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ".

فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تسأل النبي عليه الصلاة والسلام؛ أن أمها قدمت عليها في بيتها قبل الهجرة قائلة: أيجوز أنْ أبرها وهي مشركة؟، وأمها هي: قَتْلة بنت عبد العزى العامرية، وقيل: قُتيلة بالتصغير، فأجاب النبيُّ عليه الصلاة والسلام بنعمْ، ثمَّ إن أمها أسلمتْ بعد ذلك، وحسُن إسلامها[٩٦].

قال القاضي عياض: ((فيه جواز صلة المشرك ذي القرابة والحرمة والذمام))[٩٧]. وفيها نزل قول الله تعالى: {لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[٩٨][الممتحنة:٨].

والمراد بالآية الكريمة: اعلموا أيها المؤمنون أن الله تعالى لا ينهاكم عن الكافرين الذين لمْ يُقاتلوكم من أجل دينكم، ولم يُخرجوكم من دياركم؛ أن تُحسنوا إليهم وتُكرموهم، وتَعدلوا في تعامُلكم معهم؛ إنَّ الله يُحبُّ المقسطين المُنصفينَ، أي: يُحبُّ كلَّ مُقسط، فيَدخُلُ الَّذين يُقسطون للَّذين حالَفُوهم في الدِّينِ إذ كانوا مع المُخالَفة مُحسنينَ مُعاملتَهم[٩٩].

ومن صور الإحسان؛ الإحسان إلى الزوجة، وقد وصَّى عليه الصلاة والسلام بالنساء، ففي "الصحيحين"[١٠٠]، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"، زاد الترمذي وابن ماجه[١٠١]: "أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ".

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم من كان يُحسن إلى قرابته، وهم يسيئون إليه؛ ألّا يدفعه ذلك إلى ترك الإحسان، ففي "صحيح مسلم"[١٠٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: "لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ". والملُّ هو: ((الرَّمادُ الحارُّ الَّذي يُحمَى لِيُدفَنَ فيهِ الخُبْزُ لِيَنْضَجَ))[١٠٣].

ومن أعظم صور الإحسان إلى الناس؛ دعوتهم للخيرات، وحثهم على الطاعات، وتعليمهم ما يجهلون، وتذكيرهم إذا غفلوا.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبذل قصارى جهده في ذلك، وهذا من أعظم الإحسان، وذلك امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، قال الحافظ ابن كثير: ((أَيْ: كَلِّمُوهُمْ طَيِّبًا، ولينُوا لَهُمْ جَانبًا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْمَعْرُوفِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فالحُسْن مِنَ الْقَوْلِ: يأمُر بالْمَعْرُوف وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَحْلُمُ، وَيَعْفُو، وَيَصْفَحُ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا قَالَ اللَّهُ، وَهُوَ كُلُّ خُلُقٍ حَسَنٍ رَضِيَهُ اللَّهُ))[١٠٤].

ولنا أن نتصوّر فرح النبيِّ صلى الله عليه وسلم حين دعا ذلك الغلام اليهودي إلى الإسلام، وكان يحتضر، فأسلم. في "صحيح البخاري"[١٠٥] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: "أَسْلِمْ"، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ".

لقد دعاه وهو يحتضر، ولن يُقدم ذلك الغلام للإسلام شيئًا، وهذا يعني عدم وجود أي مصلحة شخصية في ذلك العمل، لكنه من باب الإحسان إلى الخلق.

والإحسان لا ينحصر في البشر، بل كتب الله الإحسان على كل شيء، فهو يشمل الجماد والنبات، بلْ حتى البهائم -أكرمكم الله-. ففي "صحيح مسلم"[١٠٦] عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ".

قال ابن رجب: ((وَلَفْظُ " الْكِتَابَةِ " يَقْتَضِي الْوُجُوبَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ وَالْأُصُولِيِّينَ خِلَافًا لِبَعْضِهِمْ... وَحِينَئِذٍ فَهَذَا الْحَدِيثُ نَصٌّ فِي وُجُوبِ الْإِحْسَانِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، فَقَالَ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل: ٩٠]))[١٠٧].

وقال ابن الأثير: ((القِتْلة بالْكَسْرِ: الْحَالَةُ مِنَ القَتْلِ))[١٠٨]. والمراد: أنّ الله تعالى كتب على كلِّ مخلوق الإحسان، وأنّه تعالى كتب الإحسان إلى كل شيء، وفي كل شيء[١٠٩].

الإحسان من الصفات التي يحب الله تعالى أصحابها؛ فقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، بلْ بيّن سبحانه أنّ أقرب الناس من رحمته هم المحسنون، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]. قال الشيخ السعدي في "تفسيره": ((فكلما كان العبد أكثر إحسانا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى))[١١٠]. ويكفي أهل الإحسان؛ أنّ الله تعالى يكافئ إحسانهم بإحسانه، {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الأعراف:٥٦].

المبحث الثالث
المنهيات والتروك
المطلب الأول: الابتعاد عن الكبائر والاحتراز من الصغائر

إنَّ الذنوب تؤثّر على علاقة المسلم بالله تعالى، والذنوب صغائر وكبائر، كما دلت على ذلك آيات القرآن الكريم ونصوص السُّنة النبوية المشرفة، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، قال ابْنِ مَسْعُود فِي خَمْسِ آيَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ: ((إِنَّ فِي النِّسَاءِ لَخَمْسُ آيَاتٍ مَا يَسُرُّنِي بِهِنَّ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا مَرُّوا بِهَا يَعْرِفُونَهَا))؛ ثم ذكر منها هذه الآية[١١١]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢]، قال الحافظ ابن كثير: ((وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ؛ لِأَنَّ اللَّمَمَ مِنْ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ))[١١٢].

وفي "صحيح مسلم"[١١٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ".

وقد تعددت أقوال العلماء في تعريف الكبائر، قال القرطبي: ((كلَّ ذنب أطلَقَ الشرعُ عليه أنَّهُ كبيرٌ أو عظيمٌ، أو أخبَرَ بشدَّة العقاب عليه، أو علَّق عليه حدًّا، أو شَدَّدَ النكيرَ عليه وغلَّظه، وشَهِدَ بذلك كتابُ الله أو سنةٌ أو إجماعٌ: فهو كبيرة))[١١٤]، وقال الحافظ ابن حجر: ((مَا يُلْحِقُ الْوَعِيدَ بِصَاحِبِهِ بِنَصِّ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ))[١١٥]، ثم نقل عن ابن عبد السلام أنه قال: ((لَمْ أَقِفْ عَلَى ضَابِطِ الْكَبِيرَةِ يَعْنِي يَسْلَمُ مِنْ الِاعْتِرَاضِ))[١١٦].

والكبائر ليست محصورةً فيما ورد ذكره في "الصحيحين"[١١٧] من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ

الْمُحْصِنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ".

وقد بيّن الإمام البخاري المرادَ بـ " الْمُوبِقَاتِ" فقال: ((قَالَ أَبُو عَبْد اللَّه: "يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ"))[١١٨]، قال الحافظ ابن حجر: ((أَيِ: الْمُوبِقَةَ هِيَ الْمُهْلِكَةُ))[١١٩].

وفي "الصحيحين"[١٢٠] من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟" ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّه، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ -وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ- أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ"، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

وإنما كان ذلك شفقةً عليه صلى الله عليه وسلم، وكراهية لما يُزعجه[١٢١].

فالمسلم يجتنب الكبائر، ويجتنب أسبابها، وما يدفع إليها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الْإِسْرَاء: ٣٢]، قال الشيخ السعدي: ((والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه))[١٢٢].

كما أنّ المسلم يحترز من الصغائر، وإنما جاء التعبير بـ: "الاحتراز"؛ لأن العبد قد لا يسلم منها، قال الإمام النووي في "شرحه مقدمة مسلم": ((أَكْثَر النَّاسِ قَلَّمَا يَسْلَمُونَ مِنْ مُوَاقَعَاتِ بَعْضِ الْهَنَاتِ))[١٢٣].

وقد جاء التعبير النبويّ بوصفها "محقَّرات"، وذلك لأنّ العبد قد يحتقرها ويُهوّن أمرها، فيواقعها.

في "السنن" لابن ماجه[١٢٤] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّه طَالِبًا".

قال الملا علي قاري: ((" طَالِبًا" أَيْ: نَوْعًا مِنَ الْعَذَابِ يَعْقُبُهُ، فَكَأَنَّهُ يَطْلُبُهُ طَلَبًا لَا مُرَادَ لَهُ، فَالتَّنْوِينُ لِلتَّعْظِيمِ، أَيْ: طَالِبًا عَظِيمًا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْفَلَ عَنْهُ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَخْشَى مِنْهُ))[١٢٥].

وبوَّب الإمام البخاريُّ في "صحيحه" في "كِتَاب الرِّقَاقِ"؛ بابًا قال فيه: ((بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ))[١٢٦]، وعلّق عليه الحافظ بقوله: ((إِشَارَةً إِلَى تَحْقِيرِهَا وَتَهْوِينِهَا، وَتُسْتَعْمَلُ فِي تَدْقِيقِ النَّظَرِ فِي الْعَمَلِ وَالْإِمْعَانِ فِيهِ))[١٢٧].

وأورد فيه الإمام البخاريُّ الحديث الموقوف عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المُوبِقَاتِ"[١٢٨]، قال الحافظ: ((أَيْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالًا تحسبونها هينةً، وَهِيَ عَظِيمَةٌ، أَوْ تؤول إِلَى الْعِظَمِ))[١٢٩].

والصغائر مع الصغائر؛ يكبرُ حجمُها، ويعظمُ خطرُها، ففي "المسند"[١٣٠] عنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ". فعلى المسلم أن يحترزَ من الصغائر، وألا يحتقرها، ويسأل الله تعالى السلامة منها.

المطلب الثاني: الابتعاد عن مبطلات ومحبطات الأعمال

قد يقول قائل: أن هذا من جملة الذنوب التي ذُكرت في المطلب السابق، وهذا صحيح؛ لكن هذه الذنوب تزيد عن السابق أنه قد ورد فيها النص الشرعي بأنها تُبطل عمل صاحبها وتُحبطه، ولهذا كان لزامًا إفرادها بالتحذير والتنبيه. والمراد بمبطلات ومحبطات الأعمال: أنّ هناك ذنوبا قلبية أو عملية، يكون من آثارها إحباط الله تعالى عمل العبد وإبطاله، فلا ينفع العبد هذا العمل ولوْ كان صالحا.

وهذه المبطلات على نوعين: الأول: ما يبطل أعمال العبد كلها، والثاني: ما يُبطل العمل الذي رافقه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

النوع الأول: ما يُبطل ويُحبط سائر الأعمال. الكفر والشرك مما يُحبط سائر أعمال صاحبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]. والردة تحبط أعمال صاحبها، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأنعام:٨٨].

النوع الثاني: ما يُبطل العمل الذي رافقه. وهذا النوع دقيق جدًّا، وأمثلته كثيرة، والواجب على العبد في سيْره إلى الله تعالى أنْ يتجنبها ويحذر منها، لأنّ هذه الأعمال تفسد علاقة العبد بالله تعالى، وتُبطل أعماله. ومن أمثلة ذلك:

١. الرياء، وهو أنْ يقصد بعمله أنْ يراه الناس، فيمدحونه ويثنون عليه. والرياء هو الشرك الأصغر، والله تعالى لا يرضاه ولا يحبه، بلْ يترك ذلك العبد، وعمله، ففي "صحيح مسلم"[١٣١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ". قال الإمام النووي في المراد من الحديث: ((فَمَنْ عَمِلَ شَيْئًا لِي وَلِغَيْرِي لَمْ أَقْبَلْهُ بَلْ أَتْرُكُهُ لِذَلِكَ الْغَيْرِ، والمراد أن عمل

المرائي باطل لا ثواب فيه وَيَأْثَمُ بِهِ))[١٣٢]. والأحاديث الواردة في التحذير من الرياء كثيرة، ولهذا على العبد أنْ يُجاهد نفسه، ويُخفي من أعماله ما يُمكن إخفاؤه، ليسلم له قلبه وعمله. قال الحافظ ابن رجب: ((فَأَمَّا إِذَا عَمِلَ الْعَمَلَ لِلَّهِ خَالِصًا، ثُمَّ أَلْقَى اللَّهُ لَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، فَفَرِحَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ))[١٣٣].

٢. المنُّ والأذى: حثَّ الله تعالى على الصدقة، وشبّه سبحانه المنفق بالذي يبذُر ويزرع، ورتّب على ذلك الأجور المضاعفة فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١]. ثمَّ بيّن أجر الذين ينفقون؛ ثم لا يُتبعون صدقاتهم أيَّ نوعٍ من أنواع المنّ سواء بقلبه أو لسانه؛ فيؤذي الفقير، ويكسر خاطره، بلْ يستشعر أنّ المالَ مالُ الله، وهو المتفضّل سبحانه بذلك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢]. في "صحيح مسلم"[١٣٤] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلَفِ الْكَاذِبِ".

والمنّان: فعّال، من المنّ، وهو الَّذِي لاَ يُعطِي شَيئًا إِلاَّ منَّة[١٣٥]. فالمنّ من الأعمال التي تُحبط الأعمال، ولهذا نهى الله تعالى عن ذلك، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة:٢٦٤]. والواجب على المؤمن أنْ يتقرّب إلى الله تعالى بالطاعات، وأنْ يتجنب مبطلات الأعمال ومحبطاتها، ويخاف من أن يعمل عملًا يُغضب الله تعالى؛ ويكون عائقًا عن القبول. وقد بوَّب الإمام البخاري في "صحيحه" في كِتَابُ الإِيمَانِ: ((بَاب خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ))[١٣٦]. وقال ابن القيم: ((ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه)) ثم قال: ((فمعرفة ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفتش عليه العبد ويحرص على عمله ويحذره))[١٣٧].

المطلب الثالث: الابتعاد عن أسباب سخط الله وغضبه

صحيح أنّ الذنوب كلها تؤدِّي إلى غضب الله وسخطه، لكنّ وردت نصوص من الكتاب والسّنة تنصُّ على بعضها، وتخص بالتحذير منها، لأنها

تُغضب الله تعالى، وشتّان بين من يسير في طريق رضوان الله تعالى وبين من يسير في سخطه، قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:١٦٢].

ومَن نزل به غضب الله وسخطه؛ فقد خاب وخسر، ففي "صحيح مسلم"[١٣٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ". فقدْ يصدر من العبد عملٌ فيغضب الله تعالى منه، ويسخط عليه، فيعاقبه على ذلك إما في الدنيا أو في الآخرة.

ومن الأعمال السيئة ما يُحرم العبد بسببها مغفرة الله تعالى، ففي "صحيح مسلم"[١٣٩] عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا". وفي رواية: "فَيُقَالُ: ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا"، وفي رواية: "فَيُقَالُ: اتْرُكُوا، أَوِ ارْكُوا، هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا". قال الخطابي: ((قوله: "اركوا هذين" يريد أخروهما))[١٤٠].

فإذا كان معلومًا أنّ الشرك يحجب صاحبه من المغفرة؛ فإنه يجب أن يُعلم أنّ الشحناء تؤخر مغفرة الله تعالى للعبد، حتى يصطلح المرء مع أخيه، وذلك تحذيرًا من العداوة بين الإخوة، قال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠] وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١][١٤١].

ومن الأعمال السيئة ما قد يُحرم العبد بسببها عفو الله تعالى عنه، ومن ذلك المجاهرة بالمعصية، فإنَّ العبد قد يأتي يوم القيامة بسيئات أكثر من حسناته، فيؤمر به إلى النار -والعياذ بالله-، لكنه ينال المكرمة الربانية، فيعفو الله عنه، غير أنّ قومًا من الناس يُحرمون ذلك، بسبب ما كانوا يجاهرون به من المعاصي في الدنيا.

ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ"[١٤٢]. قال

الحافظ ابن حجر: ((وَهُوَ إِمَّا بِمَعْنَى عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، وَإِمَّا سَلَّمَهُ اللَّهُ وَسَلِمَ مِنْهُ قَوْله))[١٤٣]. وقال صاحب "منحة الباري": (معافى) أي: معفو عن ذنبهم[١٤٤]. وذلك لأن في المجاهرة تعدٍّ على حقِّ الله تعالى، واستخفافاً بحق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم[١٤٥].

ومن الأعمال السيئة ما يُغضب الله تعالى، فلا ينظر إلى أصحابها يوم القيامة، ولا يكلمهم ولا يزكيهم، وما أشدها من عقوبة! ففي "الصحيحين"[١٤٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَة، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاء بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِه مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ العَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّه الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ " ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] وفي رواية في "صحيح مسلم": ((الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ))، وفي رواية: ((شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)).

وهذه الأعمال عاقبتها وخيمة -نسأل الله السلامة-.

المبحث الرابع
استدراك الطاعات، والتوبة من الزلات
المطلب الأول: استدراك الطاعات

العبد في سيره إلى الله تعالى؛ قد يُقصِّر في طاعة، سواءً كانت فرضًا أو نافلة، أوْ قد ينشغل عن نافلة لأيِّ عارض يعرض له في دنياه. والنبي صلى الله عليه وسلم علّمنا استدراك الفوائت من الطاعات، ففي "صحيح مسلم"[١٤٧] عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِه، أَوْ عَنْ شَيْءٍ منْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاة الْفَجْر، وَصَلَاة الظُّهْر، كُتبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ منَ اللَّيْل". قال ابن عبد البر: ((وَهَذَا الْوَقْتُ فِيهِ مِنَ السَّعَة مَا يَنُوبُ عَنْ صَلَاة اللَّيْل فَيَتَفَضَّلُ اللَّهُ برَحْمَته عَلَى مَنِ اسْتَدْرَكَ منْ ذَلكَ مَا فَاتَهُ وَلَيْسَ منْ زَوَال الشَّمْسِ إِلَى صَلَاة الظُّهْرِ مَا يَسْتَدْرِكُ فيه كُلُّ أَحَد حزْبَهُ وَهَذَا بَيِّنٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ))[١٤٨].

وفي "صحيح مسلم"[١٤٩] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ منَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى منَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً".

قال الإمامُ النوويُّ: ((إِنَّ السُّنَنَ الرَّاتِبَةَ إِذَا فَاتَتْ؛ يُسْتَحَبُّ قَضَاؤُهَا، وَهُوَ

الصَّحِيحُ عِنْدَنَا))[١٥٠].

وقدْ علَّلَ ابنُ القيِّمِ سبب إكثارِ النبي صلى الله عليه وسلم من الصيامِ في شعبانَ؛ فقالَ: "منْ أسْبابِ إكثارِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم الصيامَ في شعبانَ: أنَّه كانَ يصومُ ثلاثةَ أيامٍ من كلّ شهرٍ، فكانَ ربّما شُغِل عنِ الصيامِ أشهرًا، فجمَع ذلك في شعبانَ؛ ليُدركَه قبلَ صيامِ الفرْض))[١٥١].

وهذا من فضل الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ [الفرقان:٦٢]، قال الحافظ ابن كثير: ((جَعَلَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ، تَوْقِيتًا لِعِبَادَةِ عِبَادِهِ لَهُ، فَمَنْ فَاتَهُ عَمَلٌ فِي اللَّيْلِ اسْتَدْرَكَهُ فِي النَّهَارِ، وَمَنْ فَاتَهُ عَمَلٌ فِي النَّهَارِ اسْتَدْرَكَهُ فِي اللَّيْلِ))[١٥٢].

المطلب الثاني: التوبة من الزلات

العبد في سيْره إلى الله تعالى؛ لا يخلو من تقصيرٍ في طاعة أو ارتكاب نهْيٍ، وذلك لأنه بشر، وقد جُبل على التقصير والخطأ، قال تعالى: {كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} [عبس: ٢٣]، قال مجاهد: ((لا يقضي أحدٌ أبدًا كلَّ ما افتُرض عليه))[١٥٣]، وجاء في التفسير المحرر: ((ليس الأمرُ كما يَظُنُّ الإنسانُ من أنَّه قد أدَّى جميعَ ما أوجَبَ اللهُ عليه؛ فلم يَقُمِ الإنسانُ بكُلِّ ما فَرَض اللهُ عليه؛ من العَمَل بطاعتِه، واجتنابِ مَعصيَتِه))[١٥٤].

وقد ذكر الله تعالى من دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]. ولهذا جاءت نصوص الشرع بالحث على الاستغفار، وعلى ما يمحو الذنوب، وذلك تصحيحًا للخطأ الذي وقع فيه العبد تجاه ربه جل وعلا، وتعديلًا في طريقة سيره إلى الله، حتى لا تتأثر علاقته بالله تعالى؛ فيغضب عليه ربُّ العزة والجلال.

ومن ذلك ما جاء في "الصحيحين" [١٥٥]عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ".

وفي الحديث المشهور عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"[١٥٦]، وهو حديثٌ تكلم بعض العلماء في إسناده.

وقد أمر الله تعالى بالاستغفار عقب العبادات، فقال سبحانه في آيات الحج:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩]، وقال تعالى في آيات قيام الليل: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠].

وفعل النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وحرصه على كثرة الاستغفار، وحث أصحابه عليه؛ دليلٌ على أنّ الإنسان لا ينفكّ عن الخطأ والتقصير، حتى في العبادة. ففي "صحيح مسلم"[١٥٧] عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، إِذَا انْصَرَفَ منْ صَلَاته اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا". وقد أخرجه النسائي وبوَّب عليه بقوله: ((بَابُ الِاسْتِغْفَارِ بَعْدَ التَّسْلِيمِ))[١٥٨].

والمؤمن الذي يحصل له شيء من الفتور في عبادة الله، أوْ ينشغل بما لابد منه في الحياة؛ فعليه بالاستغفار، ففي "صحيح مسلم"[١٥٩] عن الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مائَةَ مَرَّة". قال ابن الأثير: ((أَرَادَ مَا يَغْشَاه منَ السَّهْو الَّذي لَا يَخْلو منْهُ البَشَر، لأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغولا باللَّه تَعَالَى، فإنْ عَرَض لَهُ وَقْتاً مَا عارِضٌ بشريٌّ يَشْغله منْ أُمُور الْأُمَّة والملَّة وَمَصَالحهمَا عَدَّ ذَلكَ ذَنْبا وَتَقْصيرًا، فَيَفْزَعُ إِلَى الاسْتغفار))[١٦٠]. وقد أخرجه الطبراني وبوَّب عليه بقوله: ((بَابُ عَدَدِ اسْتِغْفَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَنْ قَالَ مِائَةَ مَرَّةٍ))[١٦١].

وكان عليه الصلاة والسلام يحثُّ أصحابه على لزوم الاستغفار، ففي "الصحيحين"[١٦٢] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: عَلِّمْنى دُعَاءً أَدْعُو به فى صَلاَتى، فقَالَ: "قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسى ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ".

فالتوبة والاستغفار وسيلةٌ عظيمة لتصحيح العلاقة بين العبد وبين الله تعالى، ولهذا حثَّ الله تعالى عليها في القرآن الكريم، في كثيرٍ من المواضع، بلْ حتى اليهود والنصارى الذين آذوْا ربّ العزة والجلال، بالسبِّ والشتم –تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا– فتح الله لهم باب التوبة والاستغفار، فقال لهم: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّه وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]، وحث المنافقين على التوبة، فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

وحث المؤمنين على التوبة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّه تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

لقد عاش النبيُّ صلى الله عليه وسلم مؤمنًا بالله، مستجيبًا له، منيبًا إليه، داعيًا إليه، صابرًا محتسبًا، ومع هذا ختم صلى الله عليه وسلم حياته بالاستغفار، ففي "الصحيحين"[١٦٣] عن عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عائشة رضي الله عنها، أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ". وحقيقة ذلك؛ أنَّ العبدَ في بداية سيْره إلى الله يحتاج إلى التوبة والاستغفار، وفي نهاية يحتاج -أيضًا- إلى التوبة والاستغفار.

قال الإمام ابن القيّم: ((فَاعْلَمِ الْآنَ: أَنَّ التَّوْبَةَ نِهَايَةُ كُلِّ عَارِفٍ، وَغَايَةُ كُلِّ سَالِكٍ، وَكَمَا أَنَّهَا بِدَايَةٌ فَهِيَ نِهَايَةٌ، وَالْحَاجَةُ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ أَشَدُّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فِي الْبِدَايَةِ، بَلْ هِيَ فِي النِّهَايَةِ فِي مَحَلِّ الضَّرُورَةِ))[١٦٤].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. اللهم صلِّ وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين

الخاتمة:

وفيها أبرز النتائج، ومنها:

١. أنّ العلاقة بين العبد وبين الله تعالى مبنية على أصول وكليات كبرى.

٢. أنّ على العبد أنْ يُركز على الأصول والكليات الكبرى، وأن يجتهد ألا يخرم منها شيئا.

٣. أهمية التوازن والاعتدال في تربية النفس بين الحرص على الأصول والكليات، وبين ما يندرج تحتها من عبادات.

٤. أنْ يحرص أهل العلم والدعوة والمربون على تعليم الناس الأصول والكليات الكبرى التي تضبط علاقتهم بالله تعالى.

هوامش البحث:

---

[١] أخرجه البخاري في "صحيحه" كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ (١/١٩/٥٠)، ومسلم في "صحيحه" كِتَاب الْإِيمَانَ، بَاب معرفة الْإِيمَانَ، وَالْإِسْلَام، والقَدَر وَعَلَامَة السَّاعَة (١/٣٩/٥٠).

[٢] أخرجه البخاري في "صحيحه" كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ اتِّخَاذِ المَسَاجِدِ عَلَى القُبُورِ (٢/٨٨/١٣٣٠)، ومسلم في "صحيحه" كِتَابُ الصَّلَاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ (١/٣٧٦/٥٢٩).

[٣] أخرجه مسلم في "صحيحه" كتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ (٢٦/٥٥/١).

[٤] أخرجه مسلم في "صحيحه" كتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِه، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ (١٧/٤٧/١). والإيمان والإسلام قدْ يُفرَدان بالذِّكر وقد يجتمعَان في سياقٍ واحد، فإذا اجتمعا افترقا في المعنى، فيكون المراد بالإيمان أركان الإيمان الستة وأعمال القلوب، ويكون المراد بالإسلام العبادات الظاهرة، أمّا إذا افترقا في السياق، فإنهما يجتمعان في المعنى، فيدلُّ كل واحد منهما على الآخر. انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٧-١٥).

[٥] أخرجه البخاري في "صحيحه" كتَابُ الزَّكَاة، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا (١٤٩٦/١٢٨/٢)، ومسلم في "صحيحه" كِتَابُ الْإِيمَانَ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩/٥١/١)، واللفظ للبخاري.

[٦] أخرجه البخاري في "صحيحه" كتَابُ الاسْتِئْذَانِ، بَابُ مَنْ أَجَابَ بِلَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ (٦٢٦٧/٦٠/٨)، ومسلم في "صحيحه" كتَاب الْإِيمَانَ، بَاب مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ (٣٠/٥٨/١)، واللفظ للبخاري.

[٧] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٣١/١).

[٨] فتح الباري (٣٣٩/١١).

[٩] أخرجه البخاري في "صحيحه" كتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ مَنْ قَالَ إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ العَمَلُ (٢٦/١٤/١)، ومسلم في "صحيحه" كتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ (٨٣/٨٨/١)، واللفظ للبخاري.

[١٠] أخرجه البخاري في "صحيحه" كتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ} [ق: ٣٩] (٤٨٥٤/١٤٠/٦).

[١١] ينظر: الايمان لابن تيمية (ص: ٣٣١).

[١٢] أصول الإيمان لابن باز (ص: ٥٤).

[١٣] الوابل الطيب (ص:١٧).

[١٤] مفاتيح الغيب (٤١١/٢٤).

[١٥] أخرجه البخاري في "صحيحه" كتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] (٤٦٤٧/٦١/٦).

[١٦] أخرجه أحمد في "المسند" (٢٣٨٧٦)، ومن طريقه أبو داود في "السنن" كتاب السُّنة، باب في لزوم السُّنَّة (٤٦٠٥/١٥/٧)، والترمذي في "الجامع" أَبْوَابُ الْعِلْمِ، بَابُ مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٦٦٣/٣٣٤/٤)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة، عن أبي النضر، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، مرفوعًا، بلفظه.

-أبو النضر هو: سالمُ بن أبي أميَّة، التَّيْمي، ثقة، (ت١٢٩هـ). التقريب (٢١٦٩).

-عبيد الله بن أبي رافع هو: مدني مولى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كاتب علي -رضي الله عنه-، ثقة. التقريب (٤٢٨٨). والحديث صحيح، ورجاله ثقات. قال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وصححه ابن حبان في "صحيحه" (١٣/١٩٠/١)، والحاكم في "المستدرك" (٣٦٨/١٩٠/١).

[١٧] أخرجه البخاري في "صحيحه" كتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ صَبِّ الخَمْرِ فِي الطَّرِيقِ (٢٤٦٤/١٣٢/٣)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَبَيَانِ أَنَّهَا تَكُونُ

مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ، وَمِنَ التَّمْرِ وَالْبُسْرِ وَالزَّبِيبِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا يُسْكِرُ (١٥٧٠/٣/١٩٨٠)، واللفظ للبخاري.

[١٨] أخرجه أحمد في المسند برقم (١٢٨٦٩).

[١٩] أخرجه ابن حبان في "صحيحه" كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، ذِكْرُ وَصْفِ الْخَمْرِ الَّتِي كَانَتِ الْأَنْصَارُ تَشْرَبُهَا قَبْلَ تَحْرِيمِهَا (٥٣٦٣/١٨٥/١٢).

[٢٠] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، (٤٤١٨/٣/٦)، ومسلم في "صحيحه" كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ (٢٧٦٩/٢١٢٠/٤).

[٢١] أخرجه البخاري في "صحيحه" كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} (٤٧٥٨/١٠٩/٦).

[٢٢] أخرجه مسلم في "صحيحه" كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ (١٧٨٨/١٤١٤/٣).

[٢٣] أخرجه البخاري في "صحيحه" كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ الجُلُوسِ عَلَى الحَصِيرِ وَنَحْوِهِ (٥٨٦١/١٥٥/٧)، ومسلم في "صحيحه" كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (٧٨٢/٥٤٠/١)، واللفظ للبخاري، وله ألفاظ كثيرة.

[٢٤] أخرجه البخاري في "صحيحه" كِتَابُ النَّفَقَاتِ، بَابُ خَادِمِ المَرْأَةِ (٥٣٦٢/٦٥/٧)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ (٨٠/٢٠٩١/٤)، واللفظ للبخاري، وجاء عند مسلم أنّ السائل هو ابن أبي ليلى.

[٢٥] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (١٦٢/١٤٧٨/١).

[٢٦] الإفصاح عن معاني الصحاح (٣٥٢/٥)، المفهم (٣٨٢/١).

[٢٧] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، (٧٥١٧/١٤٩/٩)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ (١٦٢/١٤٥/١)، واللفظ للبخاري.

[٢٨] المصدر السابق.

[٢٩] انظر: أعلام الحديث (٢٣٤٩/٤)، الكواكب الدراري (٢٠٥/٢٥)، إرشاد الساري (٢٠٤/٦).

[٣٠] التبيان في أقسام القرآن (ص: ٤١٣).

[٣١] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ (٢٥٦٤/١٩٨٧/٤). وقد انتشر عند بعض الناس: (إن اللّه لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم)، والصحيح ما جاء في الصحيح، وقد نبّه على ذلك أهل العلم، قال الإمام البيهقي في "الأسماء والصفات" (٤٢٦/٢): ((عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: "إن اللّه لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أحسابكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" هذا هو الصحيح المحفوظ بين الحفاظ، وأما الذي جرى على ألسنة جماعة من أهل العلم وغيرهم "إن اللّه لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم" فهذا لم يبلغنا من وجه يثبت مثله، وهو خلاف ما في الحديث الصحيح. والثابت في الرواية أولى بنا وبجميع المسلمين، وخاصة بمن صار رأسا في العلم يقتدى به. وباللّه التوفيق)).

[٣٢] انظر: المفهم (٥٣٨/٦)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٧٣/١).

[٣٣] شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ١١٨).

[٣٤] أخرجه البخاري في "الصحيح" كتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ (٥٢/٢٠/١)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ (١٥٩٩/١٢١٩/٣).

[٣٥] مجموع الفتاوى (١٨٧/٧).

[٣٦] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ (١٤٤/١٢٨/١).

[٣٧] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٥٢/١)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧١/٢).

[٣٨] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الْقَدَرِ، بَاب تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ صحيح مسلم (٢٦٥٤/٢٠٤٥/٤).

[٣٩] أخرجه الترمذي في "الجامع"، أَبْوَاب الْقَدَرِ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ (٢١٤٠/١٦/٤)، وأحمد في "المسند" رقم (١٢١٠٧) كلاهما من طريق الأعمش عن أبي سفيان، عن أنس رضي الله عنه، مرفوعًا. وأبو سفيان هو: طلحة بن نافع القرشي، وهو صدوق. قال الإمام أحمد والنسائي: "ليس به بأس"، وقال ابن عدي: "وهو لا بأس به، وقد روي عن أبي سفيان هذا غير الأعمَش بأحاديث مستقيمة"، وقال الذهبي: "ثقة"، وقال ابن حجر: "صدوق". انظر: العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله (٤٧٤/٢)، الكامل في ضعفاء الرجال (٣٣٥/٦)، من تكلم فيه وهو موثق (ص: ١٠٢)، تهذيب الكمال (٤٣٨/١٣)، تهذيب التهذيب (٢٦/٥)، التقريب (٣٠٣٥). وحديث الترمذي وأحمد "حسن" لأجل أبي سفيان. وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم في "المستدرك" (٥٢٦/١)، والضياء في "المختارة" (٢٢٢٣). وأخرجه ابن ماجه في "السنن" كتَابُ الدُّعَاءِ بَابُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٨٣٤/١٢٦٠/٢) من طريق الأعمش عن يزيد، عن أنس رضي الله عنه، مرفوعًا بلفظ: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". ويزيد هو: يزيد بن أبان الرقاشي، ضعيف، قاله الذهبي وابن حجر. انظر: تهذيب الكمال (٦٤/٣٢)، الكاشف (٦٢٧٧)، تهذيب التهذيب (٣٠٩/١١)، التقريب (٧٦٨٣). وحديث ابن ماجه "ضعيف"، لكنه يتقوَّى بحديث أبي سفيان عن أنس رضي الله عنه، ويترقى إلى "الحسن لغيره".

[٤٠] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ (٢٧٢٢/٢٠٨٨/٤).

[٤١] أخرجه البخاري في "الصحيح" كتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَاضُعِ (٦٥٠٢/١٠٥/٨).

[٤٢] فتح الباري لابن رجب (٢٠٨/٤).

[٤٣] الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (٣٠٦/١).

[٤٤] يُنظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٥٢٦/٣)، فتح الباري لابن حجر (٣٤٣/١١).

[٤٥] أخرجه البخاري في "الصحيح" كتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا (٥٢٧/١١٢/١)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ (٨٥/٩٠/١).

[٤٦] أخرجه ابن جرير في "جامع بيان التأويل" (٤٤٩/٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٠٥٧/٤).

[٤٧] أخرجه البخاري في "الصحيح" كتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ" (٨/١١/١)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ (١٦/٤٥/١).

[٤٨] أخرجه البخاري في "الصحيح" كتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (٣٢٠٧/١١١/٤)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ،

وَفَرْضِ الصَّلَوَات (١/١٤٥/١٦٢)، واللفظ للبخاري.
[٤٩] كشف المشكل (٣/١٦٦)، جامع العلوم والحكم (٢/٣١٦) فتح الباري لابن حجر (٤/١٠٨)
[٥٠] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابٌ: هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شُتِمَ (٣/٢٦/١٩٠٤)، ومسلم في "الصحيح" كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ (٢/٨٠٧/١١٥١)، واللفظ له.
[٥١] وهذا مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة. انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/١٥)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٥/٣٣٦).
[٥٢] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْحَجِّ، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ (٢/٩٨٢/١٣٤٨)
[٥٣] المرجع السابق (٢/٩٨٣/١٣٤٩).
[٥٤] شرح رياض الصالحين (٥/٣٢٢).
[٥٥] تقدم تخريجه.
[٥٦] فتح الباري لابن حجر (٢/١٠)، وانظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦/١٣٠).
[٥٧] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللَّهُ (٨/٦/٥٩٨٨).
[٥٨] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا (٤/١٩٨١/٢٥٥٥).
[٥٩] النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٤٧).
[٦٠] أخرجه البخاري في "الصحيح"، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللَّهُ (٨/٥/٥٩٨٧)، ومسلم في "الصحيح "، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا (٤/١٩٨٠/٢٥٥٤).
[٦١] فتح الباري (٨/٥٨٠).
[٦٢] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (١/٦٩/٤٩).
[٦٣] لسان العرب (٧/٢٠٢).
[٦٤] جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٥)، اختيار الأولى (ص: ١٢٩).
[٦٥] تقدم تخريجه.
[٦٦] النهاية (٥/٩٩)، لسان العرب (١١/٦٧٢).
[٦٧] لسان العرب (١١/٦٧٢)
[٦٨] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: الزَّكَاةُ مِنَ الإِسْلاَمِ (١/١٨/٤٦)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ (١/٤٠/١١).
[٦٩] شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ١٢٨)
[٧٠] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ الجُلُوسِ عَلَى الحَصِيرِ وَنَحْوِهِ (٧/١٥٥/٥٨٦١)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (١/٥٤٠/٧٨٢)، واللفظ له.
[٧١] شرح المشكاة (٥/١٧٢٦)، جامع العلوم والحكم (١/٤٧٣).
[٧٢] جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٧).
[٧٣] أخرجه البخاري في "الصحيح"كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ(٤/١١١/٣٢٠٩)، ومسلم في "الصحيح"كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ (٤/٢٠٣٠/٢٦٣٧).

[٧٤] الجواب الكافي (ص: ١٩٧).
[٧٥] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ الصَّوْمِ بَابٌ: الرَّيَّانُ لِلصَّائِمِينَ (١٨٩٧/٢٥/٣)، ومسلم في "الصحيح" كتاب الزَّكَاة، بَابُ مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ (١٠٢٧/٧١١/٢).
[٧٦] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ السُّنَنِ الرَّاتِبَةِ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَبَعْدَهُنَّ، وَبَيَانِ عَدَدِهِنَّ (٧٢٨/٥٠٢/١).
[٧٧] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ الْجُمُعَةِ بَابُ فَضْلِ الْجُمُعَةِ (٨٨١/٣/٢)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْجُمُعَةِ بَابُ الطِّيبِ وَالسِّوَاكِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (٨٥٠/٥٨٢/٢).
[٧٨] فتح الباري (٣٦٦/٢).
[٧٩] أخرجه مسلم في "الصحيح"، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَعَاشُورَاءَ وَالِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، (١١٦٢/٨١٨/٢).
[٨٠] أخرجه مسلم في "الصحيح"، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ (٥٩٦/٤١٨/١).
[٨١] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٩٥/٥)، ونقل ذلك عن سمرة، وأبي الهيثم.
[٨٢] أخرجه مسلم في "الصحيح"، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ (٥٩٦/٤١٨/١).
[٨٣] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابٌ: الصَّلَاةُ كَفَّارَةٌ (٥٢٦/١١١/١)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب التَّوْبَة، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤] (٢٧٦٣/٢١١٥/٤) واللفظ للبخاري.
[٨٤] أخرجه مسلم في "الصحيح"، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ (٢٦٩١/٢٠٧١/٤).
[٨٥] فتح الباري لابن حجر (٢٠٦/١١).
[٨٦] أخرجه مسلم في "الصحيح"، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، (٢٥١/٢١٩/١).
[٨٧] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٥/٢).
[٨٨] النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٦/٢).
[٨٩] أخرجه مسلم في "الصحيح"، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا، وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ (٦٦٦/٤٦٢/١).
[٩٠] اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٥٩).
[٩١] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ كَثْرَةِ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ (٦٦٥/٤٦٢/١).
[٩٢] الموضع السابق (٦٦٤/٤٦١/١).
[٩٣] بهجة قلوب الأبرار (ص:١٤٢).
[٩٤] (٦/١٩٧٥/٤)
[٩٥] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَاب الزَّكَاة، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ (١٠٠٣/٦٩٦/٢).
[٩٦] الإصابة في تمييز الصحابة (١٢٩/١٤). وهي: أم أسماء وعبدالله رضي الله عنهما، وأمّا ما رواه البزار في "المسند" (١٥١/١٧٠/١٨) بسنده عن عائشة وأسماء أنهما قالتا: قدمت علينا

أمُّنا المدينة...الخ؛ فلا يصحّ، لأنّ أم عائشة، وأخيها عبدالرحمن رضي الله عنهما؛ اسمها: أمُّ رُومان بنت عامر بن عويمر. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٥٩/١٤).
قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٩١/٨) عن حديث البزار: "مُنْكَرٌ بِهَذَا السِّيَاقِ".

[٩٧] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٢٣/٣).

[٩٨] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ الأَدَبِ بَابُ صِلَةِ الوَالِدِ المُشْرِكِ (٥٩٧٨/٤/٨).

[٩٩] يُنظر: تفسير ابن عاشور (١٥٣/٢٨).

[١٠٠] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ (٥١٨٥/٢٦/٧)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الرِّضَاعِ بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ (١٤٦٨/١٠٩١/٢).

[١٠١] أخرجه الترمذي في "الجامع" أَبْوَابُ الرَّضَاعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا (١١٦٣/٤٥٨/٢)، وابن ماجه في "السنن" أَبْوَابُ النِّكَاحِ، بَابُ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ (١٨٥١/٥٧/٣)، وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

[١٠٢] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا (٢٥٥٨/١٩٨٢/٤).

[١٠٣] غريب الحديث للخطابي (٨/٢)، الفائق في غريب الحديث (١٨٤/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦١/٤).

[١٠٤] تفسير القرآن العظيم ابن كثير (٣١٧/١).

[١٠٥] أخرجه البخاري في "الصحيح" كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ (١٣٥٦/٩٤/٢).

[١٠٦] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشفرَة (١٩٥٥/١٥٤٨/٣).

[١٠٧] جامع العلوم والحكم (٣٨٠/١).

[١٠٨] النهاية في غريب الحديث والأثر (١٣/٤).

[١٠٩] انظر شرح هذا الحديث عند الحافظ بان رجب في "جامع العلوم والحكم" (٣٨٠/١)، فقد أبدع فيه كعادته

[١١٠] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٢).

[١١١] أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٦٥٩) بسند متصل.

[١١٢] تفسير القرآن العظيم ابن كثير(٤٦٠/٧)

[١١٣] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ الْصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانِ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ (٢٣٣/٢٠٩/١).

[١١٤] المفهم (٢٨٤/١).

[١١٥] فتح الباري (٤١٠/١٠-١٨٤/١٢)

[١١٦] فتح الباري (١٨٤/١٢).

[١١٧] أخرجه البخاري في "الصحيح"، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] (٢٧٦٦/١٠/٤)، ومسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا (٨٩/٩٢/١)، واللفظ للبخاري، ورواية مسلم فيها تقديم وتأخير.

[١١٨] صحيح البخاري (١٠٣/٨).

[١١٩] فتح الباري (٣٣٠/١١)، وانظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٨٤/٢).

[١٢٠] أخرجه البخاري في "الصحيح"، كِتَابُ الشَّهَادَات، بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّور (٢٦٥٤/١٧٢/٣)، ومسلم في "الصَحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا (٨٧/٩١/١)، واللفظ للبخاري.

[١٢١] يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٨٨/٢)، فتح الباري لابن حجر (٢٦٣/٥).

[١٢٢] تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٧).

[١٢٣] (١٢٧/١).

[١٢٤] أخرجه ابن ماجه في "السنن" في أَبْوَاب الزُّهْد، بَاب ذكْر الذنوب (٤٢٤٣/٣١٥/٢)، وأحمد في "المسند" (٢٤٤١٥)، من طريق عوف بن الحارث بن الطفيل، عن عائشة رضي الله عنها، مرفوعًا. وصححه ابن حبان في "صحيحه" (٥٥٦٨/٣٧٩/١٢).

وذكر الدارقطني في أنّه له إسنادًا آخر: عن الطفيل بن الحارث، به. غير أنّ الصواب رواية من رواه عن عوف بن الحارث. انظر: العلل الواردة في الأحاديث النبوية (٣٧١/١٤).

[١٢٥] مرقاة المفاتيح (٣٣٥٧/٨).

[١٢٦] (١٠٣/٨).

[١٢٧] فتح الباري (٣٣٠/١١).

[١٢٨] أخرجه البخاري في "الصحيح"، كِتَاب الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ (٦٤٩٢/١٠٣/٨).

[١٢٩] فتح الباري (٣٣٠/١١).

[١٣٠] أخرجه الإمام أحمد في "المسند" رقم (٢٢٨٠٨)، وصححه ابن القيم في "بدائع الفوائد" (٢٦١/٢)، وقال الحافظ العراقي في "المغني عن حمل الأسفار" (ص: ١٩٠٩): "إسْنَاده جيد"، وحسّن الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٣٢٩/١١) إسناده.

[١٣١] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ (٢٩٨٥/٢٢٨٩/٤).

[١٣٢] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٦/١٨).

[١٣٣] جامع العلوم والحكم (٨٣/١).

[١٣٤] أخرجه مسلم في "الصحيح" كِتَابُ الْإِيمَانَ بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلْفِ (١٠٦/١٠٢/١). وهذا الحديث أخرجه المحدثون في أبواب التحذير من الاتصاف بأوصاف المنان، فقد أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٣٠/٥): ((مَا جَاءَ فِي الْمَنَّانِ))، والنسائي في "المجتبى" (٨٠/٥) وفي "الكبرى" (٦٣/٣): ((باب: الْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى))، والبيهقي في "الكبرى" (٣٢١/٤): ((بَابُ الْمَنَّانِ بِمَا أَعْطَى)).

[١٣٥] المفهم (٣٠٤/١).

[١٣٦] صحيح البخاري (١٨/١).

[١٣٧] الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١١)

[١٣٨] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ (٢٦٣٧/٢٠٣٠/٤)، وأخرجه البخاري صحيح البخاري (٣٢٠٩/١١١/٤) مختصرًا بدون هذا الشاهد.

[١٣٩] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَاجُرِ (٢٥٦٥/١٩٨٧/٤).

[١٤٠] غريب الحديث للخطابي (٤٣٧/٢).

[١٤١] نظر: المنتقى شرح الموطأ (٢١٧/٧).
[١٤٢] أخرجه البخاري في "الصحيح" كتَابُ الأَدَب، بَابُ سَتْرِ المُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِه (٦٠٦٩/٢٠/٨)، ومسلم في "الصحيح" كتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ بَابُ النَّهْيِ عَنْ هَتْكِ الْإِنْسَانِ سِتْرَ نَفْسِه (٢٩٩٠/٢٢٩١/٤)، واللفظ للبخاري. وبوّبه البيهقي في "السنن الكبرى" (٥٧٢/٨) بـ: ((بَاب مَا جَاءَ فِي الاسْتِتَارِ بِسِتْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)).
[١٤٣] فتح الباري (٤٨٦/١٠)
[١٤٤] منحة الباري بشرح صحيح البخاري (٢١١/٩).
[١٤٥] انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٦٣/٩).
[١٤٦] أخرجه البخاري في "الصحيح" كتاب المُسَاقَاة، بَابُ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنَ المَاءِ (٢٣٥٨/١١٠/٣)، ومسلم في "الصحيح" كتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٨/١٠٣/١).
[١٤٧] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ (٧٤٧/٥١٥/١).
[١٤٨] التمهيد (٢٧٢/١٢).
[١٤٩] أخرجه مسلم في "الصحيح" كتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ (٧٤٦/٥١٥/١).
[١٥٠] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢١/٦).
[١٥١] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٧٢/٧).
[١٥٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢١/٦).
[١٥٣] جامع بيان التأويل (١١٤/٢٤)، وموسوعة التفسير المأثور (٧١٠/٢٢).
[١٥٤] انظر التفسير المحرر (٣٢/١٧).
[١٥٥] أخرجه البخاري في "الصحيح" كتَابُ الاسْتِئْذَانِ، بَابُ زِنَا الجَوَارِحِ دُونَ الفَرْجِ (٦٢٤٣/٥٤/٨)، ومسلم في "الصحيح" كتاب الْقَدَرِ، بَابُ قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا وَغَيْرِهِ (٢٦٥٧/٢٠٤٦/٤).
[١٥٦] أخرجه الترمذي في "الجامع" في أَبْوَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ (٢٤٩٩/٢٤٠/٤).
والحديث مداره على: "علي بن مسعدة"، وهو: الباهلي أبو حبيب البصري، مختلف فيه، وبغض النظر عمَّن وثقه -كابن معين وأبي حاتم- أو من ضعَّفه -كالبخاري والنسائي-؛ إلا أنه قد تفرّد بهذا الحديث عن قتادة، وهو ممن لا يُحتمل تفرده، وقد انتقد عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ؛ كالترمذي، وابن عدي، والبيهقي. قال الترمذي عقب روايته الحديث: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ"، وقال العقيلي: ((لا يتابع على حديثه))، وقال ابن عدي -بعد أن ذكر هذا الحديث في ترجمته-: ((ولعلي بن مسعدة غير ما ذكرت عن قتادة، وكلها غير محفوظة)). يُنظر: الضعفاء للعقيلي (٢٧٤/٤)، الكامل في ضعفاء الرجال (١٣٧/٨)، المجروحين (١١١/٢)، شعب الإيمان للبيهقي (٣٣٢/٩)، تهذيب الكمال (١٢٩/٢١)، الكاشف (٣٩٦٥)، تهذيب التهذيب (٣٨١/٧)، التقريب (٤٧٩٨).
[١٥٧] أخرجه مسلم في "الصحيح"، كتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صفته (٥٩١/٤١٤/١)
[١٥٨] المجتبى (٦٨/٣).

[١٥٩] أخرجه مسلم في "الصحيح"، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، (٤/٢٠٧٥/٢٧٠٢).

[١٦٠] النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٠٣).

[١٦١] الدعاء للطبراني (ص: ٥١٠).

[١٦٢] أخرجه البخاري في "الصحيح"، كِتَابُ الأَذَانِ بَابُ الدُّعَاءِ قَبْلَ السَّلاَمِ (١/١٦٦/٨٣٤)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ (٤/٢٠٧٨/٢٧٠٥).

[١٦٣] أخرجه البخاري في "الصحيح"، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِه (٦/١١/٤٤٤٠)، ومسلم في "الصحيح"، كتاب السَّلَامِ بَابُ اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ (٤/١٧٢١/٢١٩١).

[١٦٤] مدارج السالكين (٣/٤٠٢)، والإمام ابن القيم في هذا الموضع، قد تكلم عن حاجة العبد إلى التوبة بكلام جميل، فليُقرأ، تكرمًا.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١-١٤٠٨ هـ.
- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: جسم الفهيد الدوسري، الناشر: مكتبة دار الأقصى – الكويت، ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٥.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧.
- الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالله الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١-١٤١٣ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر.
- أصول الإيمان، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١١، العدد الثالث – ربيع الأول ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.

- الإفصاح عن معاني الصحاح، المؤلف: يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت: ٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ.
- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى، أبو الفضل اليحصبي، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، النَاشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١ (١٤١٩هـ).
- الإيمان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢-١٤٢٠هـ
- التفسير المحرر للقرآن الكريم، إعداد: القسم العلمي بمؤسسة الدرر السَّنيّة، ط١-١٤٤٣هـ
- التفسير من سنن سعيد بن منصور، المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور الخراساني الجوزجاني (ت: ٢٢٧هـ)، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- تقريب التهذيب. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط١-١٤٠٦ هـ.
- تهذيب التهذيب، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، حققه جماعة من طلاب الجامعة الإسلامية، الناشر: جمعية دار البر، الإمارات العربية المتحدة-دبي، ط٢-١٤٤٣هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١-١٤٠٠هـ.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١-١٤٢٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١-١٤٢٢ هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن،، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق:

شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- الجامع الكبير، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة، أبو عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١– ١٤٢٢هـ.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- الدعا، المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ)، المحقق: محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، المؤلف: محمد علي بن محمد البكري الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، المؤلف: محمد بن علي بن آدم الإثيوبي الوَلَّوِي، الناشر: دار المعراج الدولية للنشر وَدار آل بروم للنشر والتوزيع، تمت طباعة أجزاء الكتاب من عام ١٤١٦ هـ إلى نهاية الكتاب في ١٤٢٤ هـ.
- السُّنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات.
- السنن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢هـ)، الناشر: مؤسسة الريان، ط٦، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١ هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط٦، ١٤٢١ هـ.
- شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط١ ١٤٢٦ هـ.
- شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١.

- الضعفاء، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العُقَيلي (ت: ٣٢٢ هـ)، المحقق: د. مازن السرساوي، الناشر: دار ابن عباس – مصر، ط:٢، ٢٠٠٨ م.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الناشر: دار طيبة – الرياض، ط:١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
- العلل ومعرفة الرجال برواية عبدالله بن أحمد بن حنبل، المحقق: أ.د/وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني– الرياض، ط٢–١٤٢٢ هـ.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، المؤلف: ابن قيم الجوزية، المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار النشر: المكتبة السلفية، البلد: المدينة المنورة، ط٢، سنة الطبع: ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م.
- غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر – دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، ط٢.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي، تحقيق: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، ط:١، ١٤١٣هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن.
- الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ)، المحقق: مازن محمد السرساوي، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط:١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن يوسف، شمس الدين الكرماني (ت: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط١، ١٣٥٦هـ– ١٩٣٧م.
- لسان العرب. المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل الأنصاري، دار صادر – بيروت، ط٣–١٤١٤ هـ.
- المجتبى من السنن (السنن الصغرى). المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢–١٤٠٦هـ.
- المجروحين لابن حبان محمد بن حبان البستي، تحقيق: حمدي السلفي، ط:١، ١٤٢٠هـ، دار الصميعي: الرياض.

- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: محمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المسند، المؤلف: أحمد بن عمرو أبو بكر العتكي المعروف بالبزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١- (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
- المسند، المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د.عبدالله التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١-١٤٢١ هـ .
- المُصَنَّف، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، (ت ٢٣٥ هـ)، الناشر: دار القبلة، المحقق: محمد عوامة. ط:١، ١٤٢٧هـ.
- المغني عن حمل الأسفار، المؤلف: أبو الفضل العراقي، (ت ٨٠٦ هـ)، تحقيق: أشرف عبد المقصود، الناشر: مكتبة طبرية، سنة النشر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مكان النشر الرياض.
- مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣- ١٤٢٠ هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت: ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو وآخرون، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- من تكلم فيه وهو موثق أو صالح الحديث، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق عبدالله الرحيلي، طبعة عام ١٤٢٦هـ.
- المنتقى شرح الموطأ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط١، ١٣٣٢ هـ.
- منحة الباري بشرح صحيح البخاري، المؤلف: زكريا بن محمد الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (ت: ٩٢٦ هـ)، اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١-١٣٩٢هـ.
- موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والملومات القرآنية، بجمعية الشاطبي التعليمية، الناشر: دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث - القاهرة، ط٣، ١٩٩٩ م.
- الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، المؤلف: الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط٢، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.